واقع اللغة العربية الفصحى

بحث مقدم لمؤتمر جامعة القاهرة

المنعقد 2009/2/21م

1430/2/26هـ

أ.د مرزوق بن تنباك

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

سنتناول فيما يأتي مستقبل اللغة العربية الذي نرجوه لها آخذين بعين الاعتبار الواقع الحاضر والمؤثرات الداخلية والخارجية التي تحيط باللغة العربية الفصحى ومستشرفين لمستقبلها الذي نرقبه مع بداية هذا القرن إلا أنه يجدر أن نتحدث عن حاضر اللغة العربية الفصحى الذي تعيشه اليوم

www.mtenback.com

فـي بلادهـا وعلـى ألسـنة أهلهـا- قبـل النظـر فيمـا يمكـن أن يكـون عليـه مستقبلها- وهو الحاضر الذي يشعرنا بـالمرارة والأسـف، إذ نجـد أن أهـل اللغة العربية القائمين علـى أمرهـا يتجـافون عنهـا ويميلـون إلـى العاميـات ويتحـدثون بهـا فـي كـل مكـان فـي البيـت وفـي الشـارع وفـي العمـل وفـي صالات الدرس وفي شئون الحيـاة وشـجونها حتـى سـيطرت العاميـة علـى مدارك النشء وزادت اهتماماتهم بها وتحولت إلي لغة خطاب ولغة كتاب.

إننا نعرف بعد الخاصـة عـن اسـتعمال الفصـحى فـي شـؤونهم اليوميـة بلـه العامة الذين لا تكاد ألسنتهم تقيم شيئاً من نحوها وقد اعترى الضعف سليقة العرب وحال بينهم وبين بيان اللغة وجمال عباراتهـا، ونحـن مـع ذلـك نعلـم أنه منذ بدأت حركة التنوير كما يراها المؤرخون للنهضة التعليمية الحديثـة في البلاد العربية، واللغة الفصحى ذاتها ومكانتها ومنـاهج تعليمهـا موضـع النظر، ومجال للشكوى من غربة اللسان العربي الفصيح وضـعفه، مـع مـا للغة من قيمة تاريخية ومع مالها من قدرات حيـة صـالحة للقيـام بوظيفتهـا التي كانت لها في الماضي وقد تكررت شكوى المخلصين للعربية وللعرب شعراً ونثـراً منـذ مطلـع القـرن العشـرين ومـن ذلـك قـول الأسـتاذ سـليمان الفاروقي .

العرب لا شقيت في عهدك العرب	سيوف ملكك والأقلام والكتب
وكل خير أتى فالعرب مصدره	بل أي فضل أتى لم تحوه العرب
لسانهم أخلق الإهمال جدته	فبات ينعى على الكتاب ماكتبوا
تمشت اللهجة العجماء فيه إلي	أن أنكرته بنوه الخلص النجب

ولم تنقطع الشكوى منذ ذلك الحين حتـى يومنـا هـذا ونحـن فـي أول القـرن الواحد والعشرون وتوالت الأصـوات التـي تنـادي بالمحافظـة علـى سـلامة

موقع المتون ووكتب www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفصحى وتنقيتها من اللحن والخطأ. وتحاول البعد بها عن مهاوي العامية واللكنة والعجمة التي تفسد رونق القول وجمال الذوق وتجني على اللسان العربي المبين ويلات العجمة وتبعثر الجهود في لغيات ولهجات كثيرة وضعيفة وممزقة، وتجور في حق العربية كما قال الشاعر فؤاد الخطيب محذراً مما يواجه الأمة الإسلامية والعربية في لسانها ودينها ومصدر ثقافتها:

جاروا على لغة القرآن فانصدعت   له القلوب وضج البيت والحرم

فالقدس باكية والشام شاكية   وفي الحجاز يكاد الركن ينحطم

الشرق يضؤل والأهوال تحزبه   فليت شعري أعرب فيه أم عجم

كل تلك الأصوات المجلجلة للدفاع عن الفصحى كانت في بداية الاتجاه الكلي إلي التعليم الشامل ونشر المدارس العصرية وكان الأمل هو أن انتشار التعليم سيقضي على مصادر الضعف والأمية والجهل المزمن الذي حاق ببلاد العرب والمسلمين قروناً طويلة، وكان الرجاء هو أن تستعيد اللغة الفصحى مكانتها و ماضيها الخالد الذي يرجوه المحبوب لها، وأن كل مدرسة تفتح ستصبح أشعاعا للعربية وأن كل جيل يتخرج سيصبح أقوى من سابقه وأقدر عل الإمساك بزمام العربية وقيادة ناصية البيان الرائع في لغته، وقد انتشر التعليم في عرض البلاد وطولها والتحقت أجيال متتالية من أبناء العرب وتخرجت من المدارس والجامعات مئات الآلاف من حملة الشهادات الجامعية ومادون ذلك من أصناف التأهيل العلمي.

وها نحن نحتفل بمرور مئة عام على أول مؤسسة علمية خرجت الآلاف وانضم إليها في مسيرة مئة عام ألاف الجامعات في الوطن العربي شرقه وغربه وشماله وجنوبه. ولكن اللغة العربية الفصحى لا زالت موضع نظر

www.mtenback.com

ومحط سؤال ومصدر ترقب، وكما كثر الدارسون في المدارس والجامعات وكثر المتخرجون منها زاد الخوف وزاد ضعف صلة هذه الأفواج من الخريجين بلغتهم وبثقافتهم وزاد الوجل من قدرة الأعداد الكبيرة التي تخرجها الجامعات والمعاهد ومؤسسات التعليم الشامل العام والعالي على فهم اللغة وممارستها الصحيحة في نصها وفي بنياتها وفي دلالة الألفاظ والمفردات وأصبحت أغلب الأفواج التي تحمل شهادات التخرج لا تقيم لسانها الفصيح ولغتها الأصلية، وأحياناً تتنكب عنها تنبذها وراءها ظهرياً.

ومن دوافع الغيرة على مستقبلنا المعرفي ومستقبل أجيالنا نهض أكثر من سؤال وقامت أكثر من علامة استفهام بارزة تشير إلي ما آل إليه حال اللغة من ضعف، وقد حاول كل مجتهد أن يطرح رأياً أو أكثر من رأي لعله يجد سبباً أو يهتدي إلي علاج ناجع. وهنا لا بد من الإشارة إلي أن اللغة أصبحت تعيش واقعا معزولاً عن وظيفتها يشبه واقع العرب والمسلمين الذي يعيشونه في سنواتهم الأخيرة، وتمر بظروف مؤثرة لا أظنها مرت بمثلها من قبل. فقد كانت اللغة الفصحى وعاءً للتراث العربي والإسلامي بمختلف موضوعاته من دين وثقافة وتاريخ، فحفظت ماضي الأمة العربية والإسلامية كله، وتلقت الأمة فيها تعليم دينها وتراثها على الرغم من أنها أمضت قروناً طويلة تقاوم مقاومة ذاتية تيار الأمية الجارف، وانطلاق عنان العاميات واللغيات المحلية في كل مجالات الحياة الخاصة والعامة، ومع ذلك بقيت الحصن الحصين والخيار الذي لا بديل عنه ولا تفكير في سواه، وكان من لوازم الضعف الذي أصاب بلاد العرب والإسلام والمسلمين، أن نضبت روافد المعرفة المتجددة وتجمدت حركة التعليم، فبقي الكتاب الكريم هو مشعل الحياة الصامد يقرؤه العرب والمسلمون

www.mtenback.com

فتنطلق أقلامهم تحاكي رسمه وتنطلق ألسنتهم بلغته وتلتزم أسلوبه وبيانه المعجز ونصوصه المقدسة، حتى تحفظ منه ما يزيل طوق الأمية الذي يحيط بها وبكل منشط من مناشط حياتها.

أما اليوم فإن الأمر بالنسبة للعربية متناً ومعنى مختلف كل الاختلاف فليس الشكوى من أمية الإنسان ولا جهله أو حرمانه من معرفة الكتابة والقراءة كما كان ذلك حاله قبل مئة عام أو تزيد، إنما أصبحت اللغة الفصحى تواجه تحديات جديدة ووضعاً مختلفاً وأول ملامح هذا التحدي هو:

مزاحمة اللغات الأجنبية للغة العربية الفصحى في دارها وعلى ألسنة أبنائها الذين صار الكثير منهم يرغب عنها ويزهد فيها ويكون وكده لتعليم غيرها من اللغات، ويتوجه النشء وهم في سن مبكرة إلي لغات أجنبية تزاحمها في مهدها وبين أبنائها، فلا ينصرفون عن الفصحى فحسب، بل ينصرفون عن الثقافة العربية والإسلامية وتصبح حصيلة المتعلمين من لغتهم قليلة محدودة، وهذا القليل المحدود أصابته مزاحمة اللغات بالخلل والتغير فأصبح الدخيل من ألفاظ اللغات يطغى على مفردات اللغة وجملها الأصلية ويحول النص العربي إلي خليط من المفردات الأجنبية التي تدور على الألسن في أثناء الحديث والمشافهة والكتابة أيضاً، فيتحور النص السليم إلي نص أخر غير بين الدلالة، وتشيع فيه مفردات اللغة الفصحى من مفردات العامية واللهجات الدارجة حتى طغت على ما بقي من اللسان الفصيح، وجاءت اللغات الأجنبية فاستغرقت ما بقي واتسعت دائرة الدخيل على الأصيل مما سوف يثقل كاهل الفصيحة ويبعدها عن طبيعتها وينقلها من خصوصياتها. والنتيجة هي أن هذا الثنائي أي اللهجات العامية واللغات

www.mtenback.com

الأجنبية صارت سداً قوياً بين الناشئة وبين سلامة اللغة وفصاحتها. وقام الازدواج [1]

والتعدد مقام اللغة الواحدة وتأكد في بعض النفوس "أن اللغة العربية قاصرة عن مواكبة العصر وعن أغراضها وهي كلمة تقال وصفاً لحال المتكلمين بالعربية وليست وصفاً يصدق على اللغة، فاللغة قامت بوظيفتها منذ نشأت واستقرت بها واستوعبت ثقافة وحضارة قروناً كثيرة، ولم تعجز أو تقصر عن التعبير الدقيق، بل إن الفصحى بلا تحيز لها، تعد أقوى لغة على إدراك دقائق التعبير والتصرف في الجملة على قدر المراد منها ورغبة المتكلم فيها.

أما ما يعيشه المتحدثون اليوم عن عمومية الفصحى وسعتها وحمل جملها على محامل شتي مما يسبب الغموض أو البعد في الإدراك أو عدم التمييز بين المترادفات فهو سبب خارج عن اللغة متعلق بأهلها والمتكلمين بها لعجزهم عن إدراك دلا لات اللغة وخصائص أسلوبها وتعدد مناهجها في الكلام والتعبير عن المراد بقدره الذي يقدر له عند الحاجة إلي الكتابة أو الحاجة إلي التعبير ثم إن هذه الخصيصة تعد إحدى فضائل العربية وميزاتها فهي لها لا عليها وإن ظن ظان غير ذلك.

لقد مرت اللغة بأطوار عدة، تراوحت بين تواضع النشأة ثم الشباب والاكتهال وجرت عليها سنن الله في خلقه، وهي في الحاضر تستقبل زمناً جديداً وتستشرق مرحلة أخرى من حياتها وفيها من أسباب القوة والفتوة ما يجلها تعيش روحاً وثابة للمستقبل، والوقت الراهن في صالح الأحياء اللغوي وفي صالح المجهود الواعي الذي ينظم الحياة ويستطيع أن يقدم

[1] الازدواج اللغوي، عبد الرحمن القعود، بحث مقدم لندوة ظاهرة الضعف اللغوي، جماد الأول 1416هـ - أكتوبر 1995م، ص 37.

www.mtenback.com

خير ما يقدمه العلم للغة مستعيناً بمعطيات التقنية التي تسهل الصعب وتذلل العقبات وقد أعاد العزم والتصميم الحياة إلي لغة كانت جثة هامدة وعظاماً نخرة تلك هي اللغة العبرية أحيتها عزيمة أبنائها وإدراكهم لقيمة اللغة كعامل موحد وموجود وتقديرهم لكينونة الإنسان بلغته ودينه وأن ذلك من مقومات الدولة ومشخصات المجتمع الذي يوجد لنفسه مكاناً في الحياة وقد لا نحتاج إلي المزيد من الشواهد.

واللغة العربية لغة تعيش مقومات البقاء والحياة وهي اليوم في مرحلة تطور مؤثر في مقوماتها وفي ثقافتها وفي كل جوانب الحياة التي تعيشها وأكبر الأثر الذي يتطور سريعاً أثر سرعة الانتشار ووسائل النقل التي جدت منذ فترة قصيرة والتحكم التقني والمعلوماتى الرهيب الذي يعيشه العالم فصارت اللغة تتجاوز الحدود وتخترق المسافات الشاسعة وتصل إلي الإنسان أياً كان موقعه من رقعة كوكبنا الذي نعيش عليه فتضيق مساحاته وتقترب وتتصل أجزاؤه بعضها ببعض، ولهذا فإننا نهيب بأبناء العربية وعشاقها ونطالب أن يكون التخطيط لمستقبل اللغة الفصحى الأمر الذي يجعلنا نقترح تخصيص لجان يعهد إليها وضع إستراتيجية مستقبلية لدراسة اللغة العربية وتحريك واقعها والعمل على تطور آليات تعلمها خصوصاً ما يستفاد من التقانة الحاسوبية في العصر الحاضر وأهم من ذلك أن اللغة في مسيرتها الطويلة وتاريخها الحافل بالأحداث وما أصابها مع مرور الوقت من أسباب القوة والضعف وما دفع إليه الفكر الإنساني على مر العصور أصبحت بكل ذلك لغة ذات رصيد هائل من الكلمات والمفردات والجمل والنصوص واستحدثت كثيراً من التعابير والجمل التي قد تكون صالحة لزمن ما في تاريخ اللغة، أو مستعملة في قطر من أقطارها أو تكون قد

موقع الدكتور مرعي مدكور للاستشارات
www.mtenback.com

www.mtenback.com

عاشت في فترة من الفترات. وقد جمعت كل ذلك المعاجم العربية وأصبح هذا التراكم الهائل سبباً في غموض منهج الإصلاح وأصبح الفرز والاختيار من هذه المعاجم صعباً.

ولهذا فإن مستعمل اللغة لا يحتاج إلي حفظ المعاجم واستيعاب كل النصوص التي كانت شائعة في يوم ما في اللغة، ولكنه يحتاج إلي الاختيار والانتقاء والإصلاح على ما يناسب حاضر اللغة ويتفق مع الحاجة من الاستعمال الذي تمليه ظروف العصر، وتستطيعه ملكات الألسن، ومن هذا المنطق فإن الدعوة قائمة إلي الاختيار المناسب من اللغة وترشيح النصوص والجمل والمفردات التي تلبي حاجة مستعمل اللغة في زمنه ووقته وفي إقليمه ومنطقته التي يعيش فيها، بل لعلنا نستطيع أن نختار لكل علم كلماته ومفرداته التي يدور فيها استعماله ونجعل اللغة مرنة طيعة، ولنا في اللغة الانجليزية وتقنياتها أسوة، فنحن نعرف أن اللهجات الانجليزية كالأمريكية والاسترالية والنيوزلندية والهندية بل الاسكتلندية والايرلندية لم تعرقل عمل اللغة العامة أو اللغة الأساس، وإنما تفرعت عنها باختلاف اللكنات واللهجات.

www.mtenback.com
موقع الدكتور مصطفي ثابت

ونعرف أن لكل غرض مفرداته وجمله وتعبيراته ففي اللغة الانجليزية نجد لغة رجال الأعمال، ولغة الصحافة، ولغة الأعلام، ولغة السياسة ولغة التعليم ولغة العلوم الطبيعة والهندسية ... الخ، أي أنهم يجمعون المفردات الخاصة في أي موضوع من هذه الموضوعات ويجعلونها فرعاً يتعلمها من يمارس مهنة من هذه المهن فيجد أمامه لغة حية تلبي حاجته وتمده بمفردات تخص اهتمامه دون أن تتركه يتخبط في معجم اللغة الواسع فيعجز عن إدراك حاجته ويصعب عليه الوصول إلي بغيته. وقد ينصرف

www.mtenback.com

عن الفصحى إلي غيرها من اللغات أو العاميات المحلية التي أصبحت سائدة على ألسنة المتكلمين، أو مستعملة في شؤون الحياة كلها، والسبب في ميل الناس إلي هذه أو تلك وازورارهم عن الفصحى هو عدم قدرتهم على التعامل مع المعجم الفصيح للأسباب التي ذكرناها أنفاً ثم محاولة الابتعاد في هذا العصر عن الغوص في خلافات النحاة وفلاسفة اللغة الذين ملأوا الكتب القديمة بخلافاتهم وأرائهم النحوية وفلسفة اللغة وتلك الآراء كانت سبباً في صعوبة فهم العربية وانغلاقها على الناشئة الذين لا يجدون من الوقت ما يستطيعون به متابعة الآراء التي ينقص بعضها بعضاً والشاذة والميتة البعيدة عن الاستعمال.

وبعد ذلك اختيار منهج مبسط حديث يتخذ لغة العصر أساساً ويراعي مصطلحات العلوم الحديثة، ويوائم بين الثبات في القواعد النحوية التي لا خلاف عليها وبين حاجة متكلم العربية في الوقت الحاضر الذي يتطلع إلى لغة وسطى لا تغرق في التفرع النحوي أو اللفظي ولا تجانب الصواب عند الكتابة أو الكلام ولكن تختار الفصحى الميسرة وتختار المصطلحات الحديثة وتستعين بالصواب من لغة الصحافة الذي يحفظ للعربية فصاحتها وبيانها ويمدها بمد الحاضر غير العامي أو الركيك.

موقع الكتب العربية مترجمة للبحث
www.mtenback.com

www.mtenback.com